عبد العزيز لعرج ... طفولة وفتوة مكسوة بالهموم والتّرحال والتّحدي
1948 – 1968

د./ مصطفى داودي
أستاذ محاضر– أ– جامعة الشهيد زيان عاشور الجلفة
daoudi.m73@gmail.com

جبل الإنسان في هذه الحياة منذ بدء الخليقة إلى اليوم على التحرك باستمرار لتحسين أحواله وأوضاعه، وهو في ذلك قد مرّ بمراحل فارقة، كان الوجه المضيء فيها دائما هو الإبداع في سبيل تحقيق التنمية والتّطور في شتى شؤون الحياة، وقد أنبنى عن هذا الإبداع ما يعرف بالوثبات الحضارية عند الشعوب، والتي ارتقى فيها الإنسان، حتى وصل إلى ما نراه عليه اليوم من تطور مادي ملأ الآفاق، وحين البحث عن سر هذه الوثبات الحضارية عند الشعوب، نجد سرها يكمن في فاعلية الإنسان، من خلال صفوة المجتمع وقدوته، وهم العلماء الذين كانوا عبر العصور أقرب الناس إلى فهم الحياة، وأسرعهم تحرّكا لخدمة المجتمع وتحسين أحواله، لذلك يفنى الناس ولا يفنى هؤلاء وإن غادرت أجسادهم الحياة، لأنهم خلّدوا أنفسهم بما أبدعوا فيه، وورّثوه من علم للمجتمع بعد مماتهم، وبما أبقوه أيضا من أجيال نهمت من علمهم، وكتب خلّدت مآثرهم.

وقد عبّر عن ذلك شعر العرب تعبيرا دقيقا ودالا، جاء فيه:

ما الفخــر إلا لأهل العلم إنّــهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء**
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء**
ففز بعلم تعش حيــا به أبـدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء**

نعمة العلماء هذه لم يختص بها شعب دون شعب أو أمة دون أمة، بل هي ميزة للإنسان في كل زمان ومكان، وفي زمننا المعاصر لم تشذ الجزائر عن باقي المناطق في إنجاب علماء ومشايخ، كان لهم الجهد الأكبر في تغيير حال المجتمع نحو الأفضل، ومن نماذج هؤلاء الذين آثرنا الوقوف على حياتهم ومآثرهم شيخ من شيوخ التاريخ وركيزة من ركائز علم الآثار في الجزائر، وفي الوطن العربي عموما، وهو الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج، الذي كان عنوان حياته الأبرز هو التضحية بكل أشكالها، وفي مجال العلم كانت أكبر، وحين الغوص في شخصيته، نجد بأن للتضحيات في حياته سرّ كبير، قد استقاه من مراحل طفولته الأولى، والتي كانت قاعدة عظمى لصقل شخصيته بمختلف معاني التضحية والصبر والأخلاق في أجمل صورها، لذلك آثرت أن أتناول بشيء من التفصيل والتحليل مرحلة طفولته الأولى، والتي كانت مكسوة في غالبها بالهموم والترحال والتحدي والتضحية بكل أشكالها، وقد جعلنا عنوان مداخلتنا هذه موسوم بـــ:

عبد العزيز لعرج ... طفولة وفتوة مكسوة بالهموم والتّرحال والتّحدي

1948 – 1968

جاء اختيارنا لهذه المرحلة من حياة فقيدنا، كونها تشكّل قاعدة التكوين لشخصيته، وبالتالي فإنّ الدارس لحياة الفقيد المتوسطة أو المتأخرة لا يمكن فهمها إلاّ بفهم مرحلة الطفولة والفتوة، والتي كانت بحق المعين الأكبر الذي تشكلت منه شخصية الفقيد، فإذا ما أمكن فهم حياته الأولى هذه استطعنا أن نفهم حياته اللاحقة لأن حياة الإنسان مثل حياة المجتمعات مبنية على تراكمات مستمرة.

وللوقوف على هذه السيرة نعالجها وفق النقاط التالية:

1- التّعريف بالبيئة التي ولد وتربى فيها الشيخ عبد العزيز لعرج.

2- حياته من ولادته وحتى وفاة أمه (1948 – 1957م).

3- حياة التحدي بين بازول والكنار (1957 – 1959م).

4- حياة الترحال بين قسنطينة وسطيف والاستقرار في الجزائر العاصمة (1959– 1968م).

* * * * * *

1– التعريف بالبيئة التي ولد وتربى فيها الشيخ عبد العزيز لعرج

ولد الأستاذ عبد العزيز محمود لعرج في ولاية جيجل، هذه المنطقة التي تقع بالشمال الشرقي للجزائر وتمتد من سوق الإثنين وخراطة وحدود مدينة سطيف غربا إلى وادي زهور والميلية وميلة والقرارم شرقا، ومن البحر المتوسط شمالا، إلى الحواف الشمالية من مصب واد بوغريون شرق بجاية إلى رأس العشايش غرب مدينة القل، أما الناحية الجنوبية فتمتد من السفوح الجنوبية لجبال البابور إلى جبال سيدي إدريس بالقرارم، واللافت أن أغلب أراضي هذه المنطقة عبارة عن جبال ووديان ، ولا تشكّل فيها السهول إلاّ نسبة قليلة[1].

خارطة توضح موقع ولاية جيجل وأهم مناطقها

وبخصوص أصول السكان فيها، فيمكن أن نحدد تفاصيله بناء على المصادر العربية ككتابات ابن الأثير وبن خلدون، والرحالة المغربي (الحسن الوزان الفاسي) المشهور باسم (ليون الافريقي)، وكذلك الكتابات الفرنسية التي فصلت كثيرا في عروش هذه المنطقة[2].

1– علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط.1، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011، ص. 7–8.

2– علي خنوف، نفس المرجع، ص. 27.

وبناء على ما ذكرنا يمكن أن نخلص إلى أنّ أصول السكان فيها، أثير حوله جدل كبير، إلا أن المتأمل من خلال التطور التاريخي وتوزع السكان عبر المراحل التاريخية، يمكن أن يخلص إلى أنّهم كانوا يتوزّعون بين أربعة عناصر أساسية هي: (الأمازيغ ـ الذين عرفوا في المصادر بالبربرـ والعرب والأتراك والأندلسيين)، وقد انصهر جميع هؤلاء فيما بينهم مع الزمن فكونوا بذلك المجتمع الجيجلي[1].

أمّا عن الواقع الاجتماعي الذي عرفته منطقة جيجل إبّان الفترة الاحتلالية، فكان لا يميزه إلاّ البؤس والشقاء واستيلاء المستوطنين الفرنسيين بواسطة الآلة العسكرية على كلّ مقدّرات الأهالي من خلال الإبادة بأبشع الصور ومصادرة الأراضي، وبات فيها غالبية الأهالي يعيشون البؤس بكل صوره من جهل وفقر ومرض[2].

في هذه البيئة التي لا ميزة لها إلاّ خدمة الأرض وتربية الماشية في ظلّ تسلط احتلالي رهيب كانت تعيش عائلة الأستاذ عبد العزيز لعرج وفيها ولد وترعرع وأبصر الحياة، وبالتّالي فإنّه أوّل ما بدأ يعرفه في هذه الحياة هو شقاء الاحتلال وقهره للناس وما ترتب عنه من كل ميزات البؤس والتّخلف في المجالات كلها.

2– حياته من ولادته حتى وفاة أمّه (1948– 1957م)

من جبال جيجل الشّامخة ولد الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمود لعرج يوم 18 مارس 1948م، بمنطقة "عميرة" الواقعة "بسيدي عبدالعزيز"[3]، في جوّ عائلي تميّز بالترابط في العلاقات الاجتماعية، وفي أجواء غلب عليها النشاط الفلاحي، باعتبارها الميزة الأبرز للمنطقة خلال تلك المرحلة، في ظل تضييق شديد من قبل الاحتلال الفرنسي، لم يجد أهل المنطقة له من بدّ سوى التعايش معه إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وكان يلازم هذا التعايش حياة الكدح والتعب في تحصيل الرّزق، ومع ذلك كانت نفوس الجزائريين قوية شامخة لم تنل منها آلة الاحتلال وجبروته رغم كل سياسات فرنسا في كسر ذلك الشّموخ، بل كانوا يواجهونها بتحدّ عجيب ويقاومونها بكل الأساليب المتاحة، ومن أعظم تلك المقاومة تنشئة الأجيال على قيم وثوابت وهوية هذا الشّعب، وذلك من خلال الحفاظ على تعليم الأولاد

1– علي خنوف، المرجع السابق، ص. 27.

2– نفسه، ص. 183.

3– محمود لعرج، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم: 20 أفريل 2022، الجزائر.

رغم الظّروف القاهرة، وكان الطفل عبد العزيز لبنة من ذلك النّشء، حيث بدأ يتعلم مثل أقرانه منذ أن تفتقت بصيرته لإدراك هذا الواقع والظروف الاحتلالية القاسية، وكانت وجهته المسجد والكتّاب نواة التكوين الأولى لدى الجزائريين، وقد ذكر لي الأستاذ عبد العزيز، أنّه لا زال يذكر خطواته الأولى في التّعلم سنة 1952م وقد بلغ من العمر ما يقارب الأربع سنوات، نحو مسجد (سيدي أحمد) الشامخ في جبال جيجل الشامخة، والذي كان يشرف عليه الشيخ خليفة عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد بني هذا المسجد على مرتفع عال بشكل تحفة معمارية يراه الكلّ من بعيد –وكأن هذا المسجد بموقعه هذا يتحدى فرنسا وسياساتها بشموخ عال[1]–.

كان هذا المسجد عبارة عن مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تميزت بمنهاجها الثري والمتنوع، من خلال مواده التعليمية المتنوعة والممتازة مثلما وصف الأستاذ لعرج، حيث جمعت بين: (اللّغة العربية والقواعد والحساب والتاريخ، بالإضافة إلى مواد الشريعة والأدب والشعر وغيرها)، كانت أم عبد العزيز (زهرة) تتحمل شؤون تعليمه نظرا لانشغالات والده الكبيرة، فلم تكلّ يوما عن أخذه إلى هذا المسجد للتّعلم، وقابلها ابنها عبد العزيز بحسن الحفظ والحرص العالي على التعلم، ولم تبلغ نهاية سنة 1956م، إلاّ وقد برع في تعلم اللغة العربية وقواعدها بإتقان وجوانب من التاريخ والشريعة، يضاف لها أساس التعليم القويم من خلال تقدمه الكبير في إتمام حفظ القرآن، رغم سنه الصغير[2].

انطلاقا من منتصف الخمسينيات تغيرت الظروف رأسا على عقب في المنطقة، حيث ما بقي الشعب الجزائري المسكين مستكينا لظروف الإقلال والكدح التي عاشوها في ظل الاحتلال الفرنسي، بل أعلن الشعب ثورته ضد الاحتلال، وكانت جيجل جزء متين من هذه الثورة، حيث كان انخراط الشعب فيها كبيرا خصوصا سكان الأرياف، التي سارع فيها الفلاحون بالانخراط في الثورة وتأييدها من قبل الأسر عامة[3]، وكان من بين تلك الأسر السباقة، عائلة الطفل عبد العزيز التي انخرطت منذ البدايات الأولى ضمن جيش التّحرير

1– مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

2– مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

3– بورمضان عبد القادر، الثورة التحريرية الجزائرية بمنطقة جيجل(1954– 1962م)، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. صالح فركوس، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945، 2014، ص. 43.

الوطني، وكانت لها أن تدفع بموقفها هذا ضريبة غالية، من بينها إقدام السلطات الفرنسية على قنبلت منطقتهم بالمدافع والطائرات، وكان أعظم شيء أحزن الطّفل عبد العزيز هو تدمير فرنسا للمسجد الشّامخ الذي كان يعتبر له أمل التّعلّم والارتقاء نحو مكانة أعظم وأفضل، فإذا بهذا الأمل ينكسر بواسطة طائرات B25 والمدافع الفرنسية، بل وضاعفت فرنسا عنجهيتها بالتضييق على السكان بصورة أكثر شدة وقساوة لغاية إخراج السكان من الجبال، وقد بقيت هذه الصورة لمعاملة الاحتلال للجزائريين عالقة في ذهن الأستاذ عبد العزيز الطفل وبقيت له غصة كره معها فرنسا وكل من يشيد بها أو يظهر نحوها الودّ، وأن دك هذه المناطق قد استمر طيلة سنة 1957م، مما اضطر عائلة محمود لعرج (الأب) ترحل من تلك المناطق مكرهة، وتنزل بالقرب من منطقة (مزاير) في منطقة تسمى (غار لكبير) عند سفح جبل فيها، وقد بقوا في هذا المكان ما يقارب الستة أشهر (6 أشهر)، وفي ذات المكان شاءت قدرة الله أن يفقد الطفل محمود أمه الحنون، التي كانت تشكّل له القوة والسند والحماية والحنان في أجمل صوره، لأنّه كان لصيقا بها، وقصّة وفاة أمّه كانت بالنّسبة له من أعظم اللّحظات سوادا في حياته، لأنّها ماتت وهو ينظر إليها بلا حول منه ولا قوّة، والسبب المباشر في ذلك هو الاحتلال الفرنسي، حيث في هذا المكان وفي سنة 1957م، كان هناك واد وفي سفح الجبل يسكن الناس ، وقد اعتادوا مثلما ذكر لي الأستاذ عبد العزيز على الدوريات العسكرية الفرنسية في كل حين ، وبصورة العنف والقهر العظيم على السكان، وكلما كانت تأتيهم الدورية كان الشباب والرجال يفرّون نحو الوادي والمناطق الجبلية، أمّا النساء فكانوا يصعدون إلى سفح الجبل عبر طريق التفافي ، حيث كانت توجد إحدى النساء الكبيرات على سفح ذلك الجبل، وكانت قوية مهابة وكأنّها رجل لشدّة تصديها للجيش الفرنسي، وفي هذه المرة كانت والدة عبد العزيز حاملة بإحدى أخواته ، ولما جاءت الدورية أمسكت الأم بيد عبد العزيز وأخته ذات السنتين، وانتقلت مسرعة تريد الصعود إلى صفح الجبل كالعادة، إلاّ أنّها بدل ما تأخذ الطريق الالتفافي نحو السّيدة على سفح الجبل صعدت بشكل مباشر، وهو ما أثّر عليها حيث أجهدت كثيرا حتى وصلت لسفح الجبل، ولما غادرت الدّورية الفرنسية عادت الأم مع أبنائها نحو بيتها، وبمجرّد وصولها بدأت تشعر بالإرهاق والعياء الشديد، لتفقد الوعي وتحين ساعة الرّحيل في لحظة ذهول من الأبناء وأكثرهم الطفل عبد العزيز الذي كان يعتبرها سنده الأكبر، إلاّ أنّ قدرة الله شاءت أن تفيض روحها وهو

يرصد هذه اللحظة التي كان يعتبرها المنعرج الأكبر في حياته، لأنّه فقد معها السّند والحنان والأمل، بل فقد معها الطّفولة بكلّ معانيها، ليبدأ في استقبال الحياة وحيدا وهو في سنّ التاسعة[1].

3– حياة التّحدي بين بازول والكنار (1957– 1959م):

لما بلغ الشيخ عبد العزيز ستة سنوات انقلبت الأوضاع حوله رأسا على عقب وذلك نظرا لما شهدته من تغيرات مهمة جعلت مسار حياته ينقلب جذريا، ومن أبرز تلك المتغيرات:

– اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 والتحاق أعمامه بها في ناحية سكيكدة، شكّل وضعا جديدا لأسرته باعتبار أنهم أصبحوا مستهدفين من قبل جيش الاحتلال، حتى أن أباه محمود قد بات يعيش حياة الفرار والاختباء نظرا للمتابعة الفرنسية لعائلتهم.

– تدمير فرنسا للمسجد الأول الذي رأى فيه نور العلم فما عاد يجد أين يتعلم.

– موت الحضن الحاني والملاذ الأمن للطفل عبد العزيز إنها أمه مثلما ذكرنا.

وقد ذكر لي الأستاذ عبد العزيز، بأنّ وفاة أمه كان منعرجا كبيرا في حياته، وأنه بوفاتها ماتت معاني العطف والحنان التي كان يشعر بها في ظلّ الوضع الحزين الذي وجد عليه حال أهله، وقد زادت المتغيرات التي ذكرناها للأوضاع السيئة أصلا، لدرجة أن العيش مثلما قال لي في بيئة طفولتي الأولى قد بات مستحيلا، نظرا لسوء الأوضاع فيها، والتي بات لا يميّزها إلاّ الموت – إمّا أن تموت بالجوع ، أو تموت بالرصاص–.

وبناء على هذا الوضع المستجد أمر الوالد محمود إبنه عبد العزيز بضرورة الذهاب إلى خالته في منطقة (بازول) ، لمواصلة الدراسة عندها ومغادرة منطقة الطفولة الأولى.

نهاية سنة 1957م جاء الطفل عبد العزيز إلى خالته والتي كانت تمثل أمّه الثّانية، ليبدأ عندها مرحلة تحدٍّ جديدة، اقترنت فيها حياة التّعلم والاشتغال لأجل الاسترزاق حتى لا يكون عالة على أحد رغم سنه الصغير، حيث كان يقوم بكل الأعمال الصعبة التي لا توائم سنه من رعى واحتطاب، والاعتناء بالنباتات من زرع وتنقية وزبر وقطف وغيرها، فكان يقول لي

1– مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة؛ محمود لعرج، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022 ، الجزائر.

دائما كنت أقرأ وأشتغل لأجل الرّزق رغم صغر سنّي، لكن رغم كلّ هذه الظّروف لم تنكسر إرادة التعلم في داخلي أبدا، بل كنت أنظر إليها تحديا، لا بدّ أن أنجح فيه[1].

مع حلول سنة 1958م بدأت سياسة ديغول تفعل فعلها لدى عامة الشعب، خصوصا ما تعلّق بسياسة تجميع السكان في المحتشدات، حيث وضع الاحتلال محتشد (الكنار)، وفي هذا المحتشد تحمّل الأب محمود إعالة عيش أربع أُسَر[2]، من بينها أسر إخوته الذين التحقوا بالثّورة، وهم إخوته (بلقاسم أحمد ورابح)، وكان عمله إما تجارة أو أي عمل يكسبه ما يعيل به تلك وقد عان في سبيل ذلك متاعب جمّة، وصلت لحدّ تحمّله المحن في معتقلات التّعذيب[3]، ونظرا لمستجد المحتشد أرجع الأب محمود ابنه عبد العزيز إليه حيث بقي عنده طيلة سنة 1958م، في حياة جحيم عاش فيها بين الدّراسة والأعمال الشّاقة.

وفي هذه المرحلة بدأ الطفل عبد العزيز يتخذ قرارات مهمة في مساره التعليمي، رغم صغر سنه في اتخاذ مثل هذه القرارات، والتي رأى فيها بضرورة تنويع مشربه التعليمي، من خلال الانتظام ضمن التعليم الفرنسي رغم رفض أبيه لذلك تماما، بالموازاة مع مواصلة إتقان حفظ القرآن والعلوم الشرعية أيضا، وهذه المرة كانت عند المعلم (قيعموش)، الذي كان يعدّ عملة نادرة بقيت من مشايخ زمان في التعليم القرآني، بالنظر لما كان يتميز به من الحرص والصدق والإتقان في تعليم الطّلاب.

لمّا حلّ عند هذا المعلّم للحظته الأولى سأله: كيف حالك مع القرآن؟، فأجابه الطّفل عبد العزيز وقد بلغ سنّ العاشرة بأنّه يحفظه منذ مدّة، فقال له تعال في الغد مع الفجر لاستظهار حفظه، ومع الفجر الموالي قدم إليه، وقد شكّل له لجنة استظهار يترأّسها المعلم مع أنجبِ طلابه، وقد بقي أمامهم في الاستظهار حتى أذان ظهر ذلك اليوم، ولمّا رآه قد استكمل ذلك بنجاح، جعله مسؤولا عن مجموعة من التّلاميذ، يرعاهم في تحفيظ كتاب الله، وبقي على هذا الحال حتى سنة 1960م، أين سيبدأ مرحلة جديدة في حياته ميزتها التّحدي الأقسى خارج جيجل هذه المرّة[4].

1- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج ، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

2- مقابلة مع علي لعرج (1946م) أخو عبد العزيز، يوم 26 أبريل 2021 ببيت عبد العزيز بالجزائر العاصمة.

3- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

4- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

4– حياة التّرحال بين قسنطينة وسطيف والاستقرار في الجزائر العاصمة (1959– 1967م)

نظرا لظروف التّضييق التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية على عائلة لعرج، ممّا اضطر أخويه اللّذين يكبرانه: (الطاهر ويونس)، وهما في سنّ (18 و13 سنة)، واللّذان خرجا من منطقة جيجل نحو قسنطينة، حتى يأمنان قيام السلطات الفرنسية بالقبض عليهما، وكانا من حين لآخر يقومان بزيارة الأسرة في جيجل خفية، وفي سنة 1959 لما جاء أخوه الطّاهر[1] خفية ورأى من حال أخيه ما رأى، فأقنعه بالذهاب معه إلى قسنطينة، فلما ذهب معه إلى هناك اكتشف واقعا آخر عند أخيه، حيث كان هذا الأخير لا يثبت في مكان واحد نظرا لأنه كان متابعا من قبل الجيش الفرنسي، ممّا جعله دائم التنقل بين قسنطينة وسطيف والعاصمة، وطبيعة عيشه هذه انعكست أيضا على الطفل عبد العزيز الذي كان يتحمّل هذه الظروف بألم شديد.

في قسنطينة كان يقيم معه في رحبة الصوف[2] بقلب قسنطينة، أين كان يقتات أخوه الطاهر من حرفة صناعة الخبز والحلوى، ورغم أنّ التّحدي كان صعبا بالنّسبة لعبد العزيز، إلاّ أنّه لم يتخلّ أبدا عن التّعلم، حيث واصل دراسته في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برحبة الصوف، حيث كان يتعلّم علوم القرآن واللّغة وغيرها من العلوم.

رحبة صوف بقسنطينة زمن الاحتلال الفرنسي

1– الطاهر هو الأخ الأكبر لعبد العزيز وكان سنده العظيم أيام الشدة وقد توفي سنة 2017م.

2– وقد ذكر شيوخ وقدامى سكان قسنطينة، بأنّها سمّيت برحبة الصّوف، لأنّها كانت سوقا للصّوف الطّبيعي.

شكّلت ظروف المتابعة الفرنسية لأخيه الطّاهر، حالة عدم استقرار للطفل عبد العزيز، حيث بمجرّد ما أحسّ أخوه خطر المتابعة الفرنسية له في قسنطينة انتقل إلى مدينة سطيف، وانتقل معه أخوه عبد العزيز، حيث أقاما في الحيّ القديم فيها[1].

في سطيف كان الأمر مختلفا بالنّسبة لعبد العزيز، لأنّ تحديه الأكبر الذي لا يمكن أن يتنازل عنه هو التّعليم، ونظرا لعدم وجود مدارس تعليم فيها، كان يصرّ على أخيه أن يجد له حلاّ، ونظرا لانعدام الخيارات فلا قسنطينة يستطيع العودة لهما ولا حتى جيجل، وبات الحلّ الوحيد هو الجزائر العاصمة، لأنّه يوجد فيها كثيرا من أقرانه من قريته في جيجل هناك، فكان القرار أن يرسله أخوه هناك لإتمام تعليمه، والنّأي به عن ظروف المطاردة الفرنسية له[2].

من منطقة زوج عيون بالقصبة العتيقة بالعاصمة، بدأت قصّة الفتى عبد العزيز سنة 1960م، من خلال تجربة مغايرة ومختلفة تماما عن المراحل السابقة، ومنها ستبدأ قصة جديدة، ليس لعبد العزيز وحده بل لعائلته كلّها.

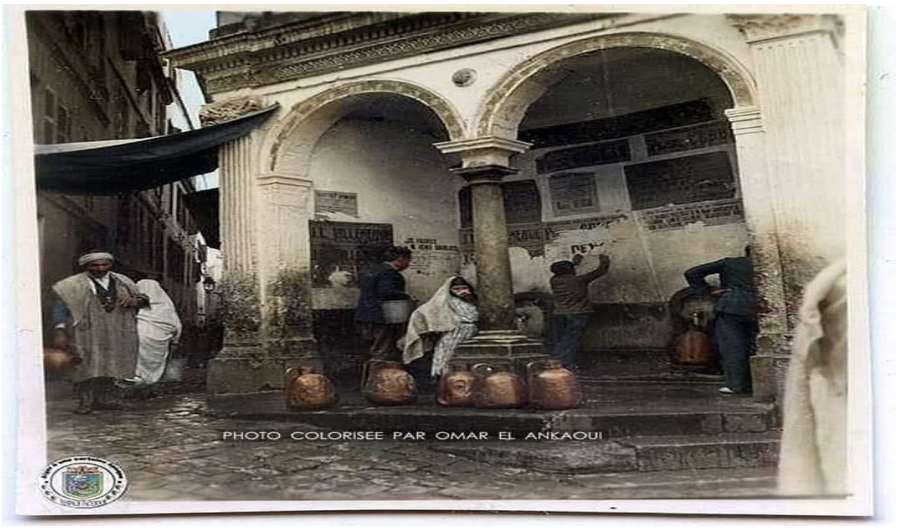

زوج عيون بالقصبة العتيقة بالجزائر العاصمة

إلى زوج عيون بالعاصمة أرسله أخوه الطّاهر لشخص كان يناديه عبد العزيز دائما بعمّي أحمد بولعشب، والذي كان له محلّ صناعة الجلد، وبمجرّد ما وصل إليه سنة 1960م رحّب به، وأعطاه مفتاح بيت متواضع بجواره، كان يعيش فيه لوحده ويرعى شؤونه بنفسه،

1- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

2- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

ومع ذلك يؤكّد بأنّه لن ينس فضائل أحمد بولعشب لأنّه مثلما قال: "كان يرعاني ويتفقّدني بحنانة مثل أولاده الذين كنت أدرس معهم[1]".

وفي سنة 1962 بعد الاستقلال بدأت العاصمة مستقرّا لعائلة لعرج، حيث قدم أخوه الطاهر إليها، وفي السّنة الموالية 1963، قدم أبوه محمود مع أسرته إلى العاصمة[2]، لتبدأ مرحلة جديدة للفتى عبد العزيز تلتئم فيها العائلة لأولّ مرّة، ومعها بدأ في الانتظام في الدّراسة وشقّ رحلة العلم الحقيقي التي ستصل به إلى مدارج عالية مع الزّمن.

ويؤكّد الأستاذ عبد العزيز بأنّه رغم تكوينه التّعليمي الجيد الذي فاق سنّه، إلاّ أن مساره الدّراسي لم ينتظم حقيقة إلاّ بعد نيل الاستقلال، نظرا لكلّ الظّروف القاسية التي مرّ بها.

والبداية فيها كانت في مدرسة "الشبيبة" بشارع السودان بالقرب من جامع كتشاوة، عند معلم يدعى لعرابة، حيث درس فيها مدّة، ولأنّ قدر الانتقال كان ملازم له في حياته، لم يتمم فيها، لأنّ معلمه لعرابة انتقل إلى مدرسة المحافظين، فأخذه معه، لما رآه فيه من التّفوّق والنجابة والأخلاق العالية وفيها كان مجتهدا ومتفوّقا على الجميع، وبمجرد بدايته في مدرسة المحافظين وجد المعلمين بأن مستواه الدراسي عال جدا عن أقرانه، وأن هناك فروق كبيرة بينه وبين التّلاميذ وكلّما وضعوا له اختبار مستوى، إلاّ ونجح فيه، فيرقّونه للسّنة التي بعدها وهكذا[3].

وتمكّن بالفعل في فترة جدّ وجيزة من اجتياز أقسام المرحلة الابتدائية والتّحصل على شهادة السنة السّادسة بعد أقلّ من سنتين، ثمّ شهادة "انتهاء الدراسة Certificat de fin d'études"[4].

وحينما دخل إلى المتوسّطة ونظرا لمستواه العالي رقّي تباعا في سنوات المتوسّط، لينجح في شهادة المتوسط سنة 1967م، وذكر لي ابنه محمود إلى أنّ بعد المسافة ومصاريف الكتب والدراسة عموما كان عائقا حقيقيا في دراسته، ممّا اضطره إلى العمل قبل وبعد

1- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

2- مقابلة مع علي لعرج (م. 1946م) أخو عبد العزيز، يوم 26 أبريل 2021 ببيت عبد العزيز بالجزائر العاصمة.

3- مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

4- محمود لعرج، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022، الجزائر.

الدّراسة وأيام العطل لتجميع المال اللازم، فاشتغل كبائع ومسؤول حسابات في أحد المخابز في "ساحة الشهداء"، كما كان مولعا أيضا بالكتب، حتى أنه كان يفضل التنقل على الأقدام يوميا من "زوج عيون" إلى "الخروبة La Glaciére" من أجل توفير المال لاقتناء الكتب[1].

ومع هذه السنة نطوي سجل مرحلة من عمر الأستاذ عبد العزيز لعرج، والتي لا يمكن أن نصفها إلاّ بالهموم والترحال والتحدي، لأنها حقا كانت قاسية لم يعرف فيها لا استقرارا مكانيا، ولا استقرارا وجدانيا، حيث فقد فيها المكان الآوي والحضن الحاوي، ورغم ذلك كان متحديا في سبيل نجاحه التعليمي وهو ما كان مع الأيام، مع الإشارة إلى أن كل هذه الشدائد مسّت جانبه الصحي، حيث أورثته مرض القلب العضال الذي عانى منه طوال حياته، بسبب مرض الروماتيزم المفصلي الحاد (Rhumatisme Articulaire Aigu) الذي يؤثر على القلب، والذي أصيب به ولم يعالج منه آنذاك للظروف التي ذكرناها[2].

فقصة طفولة عبد العزيز لعرج إذن هي نموذج بحق للأجيال حتى تعرف بأن النجاح الحقيقي هو الذي ينبت من رحم المصاعب، والتي مهما كانت قساوتها ينبغي أن تكون وقودا يدفع إلى النجاح، وصدق في ذلك قول الشاعر:

بصرت بالرّاحة الكبرى فلم أرها تنال إلاّ على جسر من التعب

كم يحلو الكلام ويطول ونحن نتكلم على هذه الشخصية العلمية المتميزة والتي تشكّل نموذجا لرجال افتقدناهم في زماننا هذا، حيث بات البحث العلمي من بعدهم هشا، افتقد قوته بافتقاد أمثاله، ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نتوجّه بعبرات العين ويد الضّراعة الصّادقة والخاشعة لرب الملكوت أن يرحمه، ويكرّم مثواه ويعطر ثراه بماء الكوثر ويجعل الجنة مثواه ومأواه ومهناه.

1- محمود لعرج، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022، الجزائر.

2- محمود لعرج، شهادة عن حياة أبيه عبد العزيز، يوم 20 أفريل 2022، الجزائر.

لقاء مع الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج في بيته بالجزائر العاصمة صباح يوم: 16 أوت 2019، وفيه تمّ تسجيل مسيرة طفولته وفتوّته بين (1948 – 1968م)

الأصول العلمية المعتمدة:

– مقابلة مع الدكتور عبد العزيز لعرج، صباح يوم: 16 أوت 2019 بمنزله الكائن بالجزائر العاصمة.

– مقابلة مع علي لعرج، يوم 26 أبريل 2021 بالجزائر العاصمة.

– محاورة مع محمود لعرج ابن الأستاذ عبد العزيز لعرج رحمه الله خلال شهر أبريل 2022.

– علي خنوف، تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ط. 1، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011.

– بورمضان عبد القادر، الثّورة التحريرية الجزائرية بمنطقة جيجل (1954– 1962م)، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. صالح فركوس، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 08 ماي 1945، 2014.